

محاضرات في مقياس الأدب النسوي الجزائري-

السنة الثالثة - أدب جزائري د: واضح

ماهية السرد النسوي:

إن الحديث عن أدب نسائي لهو حديث يشوبه الكثير من الغموض، فقد تضاربت الآراء حول وجوده، ثم حول إعطائه مفهوما دقيقا ينضاف من خلاله لحقل الأدب الجزائري يعرف النقد النسوي جدلا دلاليا حول مفهوم الرواية النسوية، فهو لا يستقر على مفهوم واحد، نظرا لاختلاف المرجعيات النقدية التي يتأثر كل ناقد عند تلقفه للمصطلح النسوي من الثقافة الغربية، حيث نجد بأن آلتنا "نقل وترجمة المصطلح النسوي من الفكر الغربي تعتبر من أخطر إشكاليات المصطلح في الفكر العربي المعاصر، حيث إن قضية المرأة من أكثر حقول الاختلاف سخونة، وأشد مبادئ الصراع الحضاري والثقافي، فالحالة الغربية حالة منتجة ومتدفقة بالمصطلحات، وليس بوسع الفكر العربي الوقت الكافي لدراسة هذه المصطلحات والخروج بصيغة مفروزة العوالق الإيديولوجية والاجتماعية لكثير من المصطلحات النسوية، بل تم أحيانا استخدام المصطلح النسوي بصيغته الأجنبية.

لذلك تتعدد التسميات التي تدل على الكتابة الروائية التي أبدعتها المرأة، ويرجع السبب إلى اعتماد بعض النقاد على وضع مصطلحات مقابلة لمصطلح النسوية المستمد من الفكر الغربي، كمصطلحي: (الأدب النسائي والأدب الأنثوي)، وهو وضع مصطلحي يميل إلى معيار الجنوسة عند تصنيف الأدب حسب جنس المؤلف (المرأة/ الرجل)، لكن من بين هذه التسميات التي تطلق على الكتابة السردية التي تكتبها المرأة، نجد: مصطلح الأدب النسوي، وهو: "الأدب الذي يستطيع أن يكون مظهرا من مظاهر الحركة النسوية العالمية، التي عرفها القرن الماضي، وأدت إلى ظهور أعمال أدبية جيدة اتخذت من حقوق المرأة، ومطالبها بالمساواة مادة أساسية للبحث.

يتضح بأن الرواية النسوية جنس سردي ذا توجه إيديولوجي، يجعل من الرواية وسيلة نضالية، تدافع فيها المرأة عن ذاتها الأنثوية ضد تعسف الذكورة، حيث تبوح المرأة في المتن

المحكي عن قضاياها الحياتية المتعددة، التي تدعوا فيها لتحقيق حقها في المساواة والاختلاف. إن الرواية النسوية هي التي توظف نصوصها السردية للتعبير عن قضايا المرأة والدفاع عنها، عبر المطالبة في كتبها بحقها في المساواة والاختلاف، وهي تتجاوز في مفهومها العامل الفئوي، لترتكز في دلالتها على الجانب الإيديولوجي، لأن دلالتها لا ترتبط بالمعيار الجنسي الذي يربط مفهوم الرواية النسوية بطبيعة الكاتب، بقدر ما هي كتابة تحليل في أسلوا التعبير على صراع الأفكار بين الجنسين وتقويض الأنساق الثقافية التي شوهت ذات الأنثى، وهو صراع لا يهدف لإقصاء أحد الطرفين، بقدر ما يشجع على الائتلاف بينها، عبر احترام مبدأ الاختلاف والتمايز في الإبداع بين الجنسين، فالرواية النسوية هي الكتابة السردية التي تكتب عن المرأة، وتناضل في مضمونها عن ذاتها الأنثوية وقضاياها المتعددة، وتطالب في متنها المحكي بتحصيل حقها في الاختلاف والمساواة.

إشكالية المصطلح (الرواية النسوية/ النسائية/ الأنثوية)

يعرف مصطلح الرواية النسوية تضاربا في المواقف بين النقاد، فالمصطلح يثير موافقا متباينة حول التسمية المناسبة التي تدل على كتابة المرأة في الرواية، حيث يعرف المصطلح تأرجحا بين ثلاثة مواقف مختلفة، فهناك من النقاد من يفضل استعمال مصطلح (الرواية النسائية) استنادا لخيار الجنوسة، وهناك من النقاد من يستعمل مصطلح (الرواية النسوية) استنادا لمبدأ إيديولوجي، تناضل عبرها المرأة للدفاع عن حقها في المساواة والاختلاف، وهناك موقف ثالث حيادي، يستعمل مصطلح (الرواية الأنثوية)، لأنه يرى بأن الرواية النسوية ها كتابة سردية يشترك في إبداعها كلا الجنسين، فلا فائدة محققة إذا تم تقسيم الأدب على حسب فئة الكاتب (المرأة/الرجل)، فرغم هذا الوضوح في المواقف النقدية المثارة حول مصطلح الأدب النسوي، إلا أنه وجب أن نشير إلى: "أن بعض الكتاب والكاتبات لم يفرقوا بين نسائي ونسوي، وبعض الكاتبات اشتغلن على أحدهما في بداية مشوارهن، ومن ثم انتبهن للفرق بينهما، وبدأن يشتغلن على هذا الفرق، كما فعلت الباحثة شيرين أبو النجا، أو التفريق بين مصطلحات وإهمال بعضها وعدم الالتفات إلى البعض الآخر كما فعلت زهرة جلاصي، التي تفرق بين مصطلح أنثوي ومصطلح نسائي وتعتمد

الأول وترفض الآخر ولا تلتفت إلى نسوي أو تذكره حتى عرضاً، أو الخلط بين المصطلحات في مكان واحد كما فعل حفاوي بعلي، أو الاشتغال على مصطلح نسائي وحده، وإغفال ما عداه جملة وتفصيلاً كما صنع الباحثان رشيدة بن مسعود وبوشوشة بن جمعة، إذ يشتغلان على مصطلح نسائي، ويهملان مصطلح نسوي تماماً، ويقتصران في مناقشتهما على إثبات هذا المصطلح نسائي

إن هذا التباين في المواقف النقدية حول مصطلح الأدب النسوي، مرده اختلاف السياق الثقافي الذي يتأثر به كل ناقد، فيحاول البعض أن يكرس استعمال مصطلح على حساب الآخر، في جو نقدي يسوده السجال المصطلحاتي المتعلق بإبداع المرأة، كما يحصل مع مصطلح الأدب النسوي وهو ما يؤكد بأن "معركة المصطلحات والمفاهيم النسوية أهم ميادين الصراعات الفكرية والثقافية، وستظل كذلك، لذلك فبعض المصطلحات قد تنشحن أيديولوجياً لتهمين على الحالة الثقافية، وتصل لدرجة يصعب الانفكاك من دلالتها.

إن هذا السجال النقدي حول التسمية المناسبة لأدب المرأة، كان له أثر إيجابي على تحسين المكانة الإبداعية للمرأة عامة، حيث تجسد تأثيره على وجه الخصوص في: بعث اهتمام النقاد بالرواية النسوية، نتيجة ما أثارته من مواضيع روائية تتسم بالجدة والجرأة في الطرح، وهو وضع إبداعي ميزها عن الكتابات الروائية التي يكتبها الرجل، واستطاعت في مرحلة متقدمة من منافسته على نيل أهم الجوائز الوطنية والدولية في الكتابة الروائية.

الرواية النسوية الجزائرية مسارات النشأة والتطور :

يرجع ظهور الرواية النسوية الجزائرية في الأدب إلى الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي إلى يومنا هذا، وهي تعد إضافة مميزة للأدب العربي عامة وللأدب المغربي خاصة، بالنظر لما تتميز به الرواية النسوية الجزائرية من خصوصية أدبية، إذ تعد الرواية النسوية الجزائرية فاتحة الأدب المغربي الذي تكتبه المرأة، ويرجع أمر الريادة إلى الروائية "طالوس عمروش"، حينما أصدرت "5. سنة 1947 رواية (الزنبقة السوداء)، التي تعد أول رواية نسائية مغربية باللغة الفرنسية "تميزت الرواية النسوية الجزائرية بخصوصية مزدوجة، تجمع بين الأسلوب اللغوي الذي تكتب به الرواية، و السياق الذي تكتبه عنه

الرواية، فمن الناحية الأولى: هنالك روايات جزائريات فضلن الكتابة باللغة الفرنسية، في حين انصرفت روايات أخريات للكتابة باللغة العربية، أما من الناحية الثانية: فهي الكتابة عن سياق الكولونيالية في الجزائر: حينما وظفت الرواية كسلاح تناهض به ضد العدو الاستعماري، وما اقترفه من جرائم شنيعة ضد الشعب الجزائري، كما كتبت عن الثورة الجزائرية و بطولات الثوار، كما كتبت عن دور المرأة في النضال التحريري، الذي سعت فيه المرأة لتحقيق الاستقلال، وبفضل هذه الخصوصية النضالية أخذت الرواية النسوية دلالة الرواية الملحمية.

أما الوضع الثاني فهو: الكتابة عن سياق ما بعد الكولونيالية، حينما طوعت الروائية الجزائرية رواياتها للدفاع عن المرأة ضد السلطة الذكورية في الوطن، مثل: الرواية النسوية التي كتبت عن حقبة التسعينيات بالجزائر، حيث ناضلت الروائيات الجزائريات في روايتهن ضد معاناة الأنثى من الجماعات المتطرفة في سياق العشرية السوداء.

نجد ضمن هذين الحالتين: وجود بعض الروائيات الجزائريات اللواتي كتبن رواياتهن وهن قاطنات بأرض الوطن، في حين أن بعضهن كتبن رواياتهن و هن في بلاد المهجر، بعدما أرغمتهن الظروف المعيشية على مغادرة الوطن، لكنهن ظللن وفيات في انتمائهن للوطن، من خلال تطويع رواياتهن للتعبير عن أزمته عامة، وعبرن عن معاناة الأنثى الجزائرية خاصة في مختلف الحقب التاريخية.

الرواية النسوية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية :

تمثل الرواية النسوية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية أولى التجارب الروائية الجزائرية التي انفتحت فيها المرأة الجزائرية على الكتابة السردية، بفضل وجود بعض الروائيات الجزائريات اللواتي أتقن الكتابة باللغة الفرنسية، باعتبارها لغة فرضتها مرجعيات الحقبة الكولونيالية بالجزائر، ورغم هذا الأسلوب في الكتابة، إلا أن الروائيات بقين في كتابان محافظات على وطنيتهن ورافضات للاستعمار، فقد تميزت رواياتهن "بروح القومية والواقعية، وشدة ارتباطها بالأرض وتشبثها بالوطن، وقفت الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية، إلى جانب الإخوة المواطنين الجزائريين المقهورين، ولم تتخلف عن مواكبتهم في

ميدان التحرير، أضف إلى ذلك فهؤلاء الكتاب عند تعبيرهم بالفرنسية، يتركون فكريا جزائريا نوعيا.

تعد الرواية النسوية المكتوبة باللغة الفرنسية جزءا لا يتجزأ من الأدب الجزائري، وهي تعتبر صوتا سرديا واعيا بقضايا المرأة الجزائرية في مختلف السياقات، بالإضافة إلى أنها كتابة سردية تعكس روح الانتماء والتشبث بالوطن والهوية، لأن الروائيات الجزائريات استطعن أن يكيفن اللغة الفرنسية للتعبير عن أزمة الوطن والمرأة الجزائرية في سياق الاستعمار وما بعده، وقد مثل هذا التوجه ثلة من الروائيات الجزائريات، نجد منهن:

1- **طاوس عميروش**: هو اسم الشهرة، في حين أن اسمها الحقيقي هو: مارغريت طاوس عميروش، وهو اسم مركب، وله دلالة ترتبط باسم والدا المسيحية، في حين أن اسم طاوس: هو اسم أمازيغي، يحمل دلالة الطائر الزاهي الألوان، وهو اسم تراثي يكرس لتعلق الإنسان بالطبيعة.

عرف على الروائية بأنها شديدة التعلق بالتراث الجزائري الأمازيغي، وهي تعد "أهم روائية جزائرية تبرز في أية الأربعينيات من القرن الماضي، وهي تكتب باللغة الفرنسية، وهي من أسرة عرفت باهتمامها بالإبداع الأدبي، تركت الأدبية الطاوس عميروش مؤلفات عديدة في الإبداع الأدبي، وفي التعبيرات الشفوية التي تزخر بها منطقة القبائل الكبرى ومن بين هذه الأعمال روايات، ودراسات شعبية الياقوتة السوداء، الذكريات لا تنسى فالجرح عميق، الوحدة أمي، الجري وراء المستحيل، البحث عن الذات، الحية السحرية، شوارع الطبول، العشيق المتخيل، إنقاذ الأدب الشفهي الأمازيغي من النسيان.

تظهر الروائية في رواياتها بأنها امرأة شديدة التعلق بالوطن، وهذا راجع لتأثير المنفى فيها، فرواياتها مشحونة بالنزعة النفسية الحميمية اتجاه الوطن، والتي تكشف فيها عن روح الانتماء والتعلق بالهوية الوطنية، فنجد ومن مميزات أسلوبها الروائي السير الذاتي: أن معظم رواياتها تدور "حول تجربة المنفى، جراء ازدواجية الانتماء كانت لهما تداعيات في حياة الروائية، ليس على المستوى العلائقي الفردي

والاجتماعي فحسب بل على المستوى الإبداعي كذلك ... نعتها الناقد والمؤرخ
الفرنسي جون دي جون بالحميمية الحميمية *écriture intimiste*

2- **جميلة دباش:** هي روائية جزائرية، تكتب باللغة الفرنسية، وقد اهتمت في كتاباتها بالتعبير عن قضية المرأة الجزائرية في ظل الاستعمار الفرنسي، حيث صدر لها عدة أعمال روائية، نحصي منها: "رواية ليلي فتاة من الجزائر"، كما أصدرت روايتها الثانية بعنوان "عزيزة"، ولها دراسات اجتماعية وتربوية، وتعد جميلة دباش أول امرأة جزائرية تنشئ مجلة مختصة بشؤون المرأة في اية الأربعينيات، كما اعتبرت أول روائية جزائرية اهتمت بالمسائل الاجتماعية والتربوية مثل وضع المرأة الاجتماعي، ومسألة تعليم الجزائريين.

تناولت الروائية "جميلة دباش" في رواياتها نظرة استشرافية حول وضع المرأة الجزائرية خلال الحقبة الاستعمارية، فكانت تأمل إلى التغيير من واقعها المر بفعل الكتابة السردية، لذلك نلمس في رواياتها دلالة تحيل "إلى إمكانية تحرير المرأة الجزائرية المسلمة في ظل الاستعمار، وتروج لأسطورة الإيديولوجية الكولونيالية.

3- **آسيا جبار:** هو اسم الشهرة، في حين أن اسمها الحقيقي هو: فاطمة الزهراء إيماالين، جسدت الروائية النموذج الناضج والمتكامل في إجادة الكتابة الروائية النسوية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، وهذا راجع بالأساس إلى: تكوينها التعليمي الراقى، و اكتسابها لمواهب إبداعية متعددة، إلا أن ولوعها بالأدب كانت له مكانة خاصة في حياتها الثقافية، حيث تجلت علاقتها بالأدب "من خلال الكم الهائل من الأصوات التي تسكن أعمالها، خاصة الأصوات النسائية منها، حاولت أن تقتحم المجهل المعتمة لعالم المرأة، ولعوالم الكتابة الروائية، ولم تكتف بالإفصاح عن الذات فيها وإعلان حدود وعيها وتخوم إدراكها ووجودها وماهيتها، وإنما تجاوزت عن الحق في الوجود، ثم الخوض معركة الانتماء وتنشيط الهوية.

إن السجل الروائي للروائية "آسيا جبار" حافل بالعطاء الأدبي، وقد تجلّى ذلك في إصدارها للعديد من الأعمال الروائية، فبدأت انطلاقتها في "عالم الكتابة برواية العطش والتي كتبتها وهي ابنة العشرين ربيعاً، ونشرا عام 1959م، استعارت الروائية "جبار" من أسماء الله الحسنى وارتضته اسماً للشهرة توقع به إبداعاتها، قورنت رواية العطش" برواية فرنسواز ساقان "أهلاً بالحنن".

تتميز أعمالها الروائية بخصوصية سردية تفضلها عن باقي الأعمال الروائية المكتوبة باللغة الفرنسية، فنلمس في رواياتها غلبة الشخصيات الأنثوية، وميلها إلى ختام السرد الروائي بالنهاية الفاشلة التي تكرر لاستحالة فض الصراع بين المرأة والرجل، كما يغلب على كتاباتها أسلوب استحضار الذكريات، التي ترتبط بسياق المرحلة الكولونيالية، والتي تجسد فيها دلالة الحنين إلى الوطن، كما نلمس بأن أعمالها الروائية "محاكاة لبعضها البعض، حتى أن بعض بطلات رواياتها تبدو نسخاً مكررة، كلها من شاكله "حجيلة" بطلة رواية "ظل السلطنة" التي تخلع عنها سلطة الزوج متحدية إياه بخروجها من المنزل دون استئذانه، وكأن معركة بطلات آسيا جبار هي مع الرجل ولا أحد سواه، وإذا كانت بعض الجرائيات هادئة في تعاملها مع الجنس الآخر، فإن آسيا جبار تنظر إلى الرجل بكثير من الاحتقار حتى أنها لا تسميه، وتكتفي بالإشارة إليه بضمير الغائب "هو"، ولتعود إلى رواية "نساء الجزائر" على نفس الوتيرة المبنية، والملاحظ أيضاً على كتابة آسيا جبار هو بروز تلك النظرة التراثية لمختلف مظاهر الحياة الاجتماعية كالاحتفالية في الريف والمدينة، التي تشكل الإطار المكاني والزمني لأعمالها السردية والإبداعية.

إن أعمال الروائية لآسيا جبار يغلب عليها الطابع النضالي، فهي مشحونة بدلالة الدفاع عن المرأة ضد السلطة الأبوية، دف فيها إلى التغيير من واقع المرأة، ونقلها من حالة الاحتقار إلى حالة التقدير، ونقل وضعها من الصراع إلى التعايش مع الذكورة بانتلاف.

الرواية النسوية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية:

يؤرخ النقاد لظهور الرواية النسوية المكتوبة باللغة العربية في الأدب الجزائري إلى اية السبعينيات وبداية الثمانينيات، ويحددونه بالضبط بسنة (1979م)، حيث يربط النقاد ظهور هذا النوع الأدبي بالروائية الجزائرية "زهور ونيسي"، فهم يعتبروا "أول رواية نسائية باللغة العربية في الجزائر فهي "يوميات مدرسة حرة" للكاتبة زهور ونيسي التي صدرت سنة 1979م، أي بعد خمس عشرة سنة من الاستقلال.

"عبرت الروائية "زهور ونيسي" في رواياتها عن قضايا الوطن والمرأة الجزائرية بأسلوب السير الذاتي، جسدت فيه دور الكتابة السردية في الدفاع عن المرأة الجزائرية في مرحلة الاستعمار، وما بعده.

ظهرت عديد الروائيات الجزائريات اللواتي أجدن الكتابة في الرواية النسوية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية، ولهن أسلون الخاص في الكتابة، فتميزن في كتابان بالتعبير عن مواضيع تختلف شكلا ومضمونا عما يكتبه الرجل، فنجد من بين هذه الروائيات

الروائية زهور ونيسي: تمثل الروائية معلما من معالم الرواية النسوية المكتوبة باللغة العربية، حيث يعود لها الفضل في كتابة أول رواية نسوية جزائرية مكتوبة باللغة العربية، وتملك الروائية سجلا أدبيا ثريا، بما يضمه من أعمال روائية عديدة، تمزج فيها الروائية بين أسلوب السير الذاتي و أسلوب استحضار الذاكرة التاريخية، فنجد من بين هذه الأعمال: "رواية من يوميات مدرسة حرة التي صدرت سنة 1978م، وهي رواية تسرد عن أحداث تاريخية مقتطفة من التاريخ الثوري للجزائر، وقد وقعت هذه الأحداث بين سنتي 1954م _ 1960م، عملت الروائية فيها على الاعتراف بدور المرأة الجزائرية في النضال ضد الاستعمار الفرنسي.

كما نجد بأن الأدبية الجزائرية "زهور ونيسي" لا ينحصر إبداعها في المجال الأدبي، حيث يمتد إسهامها في الكتابة ليمس مجال النقد الأدبي، إذ نجد لها مواقف نقدية تتعلق بقضية الكتابة السردية، فهي ترى بأن الكتابة السردية النسوية وسيلة نضالية، تتيح للمرأة الجزائرية فرصة لإعادة بعث ذاتها بصورة مختلفة عما هي عليه في الواقع، ذلك أن "اختيار المرأة للكتابة يعني رغبتها في أن تكون، وأن تحقق وجودها، وتحقق ما يمكن اعتباره تجاوزا لوضعها الحالي، وبذلك تصبح الكتابة بالنسبة للمرأة نوعا من الخلاص والتحرر، لأنها لم تجد لنفسها موطئ قدم إلا بالكتابة التي من خلالها تحاول أن تعكس حضورها ووعيها بالعالم.

كما ترى الأدبية "زهور ونيسي" بأنه يجب على المرأة الجزائرية أن تعيد النظر إلى الكتابة السردية، بعدما أثبتت الرواية النسوية بأنها قادرة أن تكون وسيلة من وسائل النضال النسوي، تكافح المرأة عن وطنها وذاتها، وتعبر فيها عن القضايا التي تشغلها في الحياة، وتطرحها طرحا واعيا، من شأنه أن يغير من واقعها التبعية للهيمنة الذكورية، إلا أنها ترى بأن هذا الاستشراف في الكتابة لا يمكن تحقيقه، إلا إذا استطاعت المرأة أن تجاوز "مرحلة التردد والهواية، إلى مرحلة النضج والجدية والغزارة، والإبداع الفني، واكتساب الخبرات في الأسلوب والتعبير، والجرأة في الطرح... هكذا يجب أن تخوض المرأة ميدان الكتابة.

فالروائية "زهور ونيسي" ترى بأن ارتقاء المرأة في ميدان الكتابة، يتم عبر مراحل مسترسلة، تتدرج فيها المرأة من مرحلة الكتابة الهوائية إلى مرحلة الكتابة الناضجة، يترتب عنها غزارة في التأليف الروائي، الذي تصوغ في متنه بأسلوب جريء عن معاناتها، في حين أن تحقيق هذه النظرة الاستشرافية في الكتابة النسوية، تبقى مرهونة بمدى تغير الوضع الإبداعي للمرأة، والذي يتطلب انتقال المرأة من مرحلة الصمت إلى مرحلة البوح، وهذا لا يتم ذلك إلا إذا استطاعت المرأة أن تتجرد من مخاوفها في الكتابة، وحينها يمكنها أن تعبر بجرأة عن معاناتها المتعددة.

الروائيات الجزائريات ما بعد "زهور ونيسي":

استطاعت الروائية "زهور ونيسي" أن تفتح مجال الإبداع الروائي المكتوب باللغة العربية لكوكبة من الروائيات الجزائريات، اللواتي عبرن في أعمالهن الروائية عن قضايا الوطن عامة والأنثى خاصة، وقد تمثلت هذه التجارب الروائية المكتوبة باللغة العربية، كالتالي على سبيل المثال لا الحصر:

تطور الرواية النسوية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية:

تميزت الرواية النسوية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية بالتأخر في الظهور في الأدب الجزائري، كما عرفت قطيعة في المسار الإبداع بين فترتي الستينيات واية السبعينيات لأسباب عدة، في حين انشغلت الروائيات في السنوات اللاحقة بالتعبير عن معاناة المرأة من تعسف الجماعات المتطرفة في سياق التسعينيات، حتى أطلق النقاد على رواياتهن المعبرة عن تلك الحقبة تسمية: روايات أدب الأزمة، لوجود عدد كبير من الروايات النسوية التي كتبت عن تلك الحقبة، حيث شحنت في متنها المحكي نبرة الحزن والأسى، نتيجة لما آل إليه الوطن من خراب.

عرفت الرواية النسوية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية خلال الثلاثين سنة الأخيرة (2010_1979م) غزارة في التأليف الروائي، حيث أنتجت الروائيات حوالي أربعين رواية نسوية عبر فترات تاريخية متقطعة، فأعتبر هذا الكم في التأليف مقبولا، مقارنة بالسنوات السابقة، التي كان فيها الإنتاج الروائي النسوي شحيحا، فقد أقر الناقد "أحمد دوغان في كتابه (الصوت النسائي في الأدب النسائي الجزائري المعاصر) بتأخر ظهور الأدب النسائي الجزائري مقارنة بالدول العربية واعتبر أن (الرواية ظلت غائبة حتى سنة 1979 لتطل علينا (يوميات من مدرسة حرة (وكان هناك مشروع رواية في أدب الراحلة زوليخة السعودي لكن رحيلها حال دون ذلك، وظلت المحاولات شحيحة حتى الألفية الثالثة ليكون ما أصدرته النساء إلى حدود سنة 2000 بالكاد يصل سبع روايات، ثلاثة منها لأحلام مستغانمي، وإلى حدود 2010 لم تكتب نون النسوة سوى 47 عملا روائيا، مما يعني أن

الجزائريات انفتحن أكثر على الكتابة الروائية مع مطلع الألفية 19. الثالثة، فكتبن أزيد من 40 رواية في العقد الأول من هذه الألفية.

استطاعت الروائيات الجزائريات أن تتجاوز تأخر ظهور رواياتهن بغزارة التأليف الروائي، وقد تم ذلك بفضل سعة اطلاعهن على المنجز الروائي النسوي العربي والعالمي من جهة، و إجادتهن للكتابة الروائية النسوية من جهة أخرى، حيث استطاعت الروائيات ذا الزخم الروائي أن تجاوز العقم الإبداعي الذي مس الأدب النسوي الجزائري في نهاية السبعينيات وبداية الثمانينيات من القرن الماضي، لذلك يعرف على التاريخ الروائي للمرأة الجزائرية بأنه كان "متأخرا مقارنة بالفنون الأدبية الأخرى كالقصة والشعر فلجأت المرأة إلى كتابة الرواية رغم عدم علمها بشروط كتابتها وبمقوماتها الفنية وبأبعادها الجمالية لذلك قللت الروايات النسائية في الستينيات والسبعينيات والثمانينيات، وبدأت في الظهور أواخر الثمانينيات نتيجة اطلاع المرأة على الثقافات الأخرى خاصة الشرقية واحتكاكها بالمبدعات، فساعد ذلك على ولادة روايات كأحلام مستغانمي، وزهور ونيسي وفضيلة الفاروق وغيرهن.

يتبين بأن تأخر ظهور الرواية النسوية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية في الأدب العربي، لم يشكل عقبة في تطور الرواية النسوية الجزائرية، لأن التأليف الروائي النسوي من ناحية الكم يظل إلى حد ما مقبولا مقارنة بما كان عليه في الماضي، أما من ناحية الكيف، فقد استمرت الروائيات في أعمالهن الروائية تعبرن عن محنة الوطن والذات الأنثوية، حيث كانت لهذه المواضيع تأثير على القارئ، انعكس صداها بإقبال النقاد على ترجمة بعض الروايات النسوية الجزائرية إلى اللغات الأجنبية.

خصوصية الرواية النسوية الجزائرية :

اتسمت الرواية النسوية الجزائرية بخصوصية أدبية تميزها عما يكتبه الآخر في الرواية الذكورية، ومن بين هذه الخصوصية التي تميزت بها، نجد :

إن الرواية النسوية الجزائرية كغيرها من الروايات النسوية العربية منحت للشخص الأنثوية بمقابل دورا مركزيا في المتن المحكي، مقابل ميشها للشخص الذكورية، وهو أسلوب انتقامي قوضت به الروائية الهيمنة الذكورية على الأنثى، وقد تجسد هذا في المتن المحكي، كالتالي: "التركيز على شخصية المرأة والتعاطف معها، وتبرير ظاهرة الانحراف التي تقع فيها المرأة إلى الأسباب الاجتماعية أو الثقافية أو الحضارية أو النفسية _ إسناد البطولة إلى المرأة _ . اختلاف أسلوب التعبير عن الجوانب النفسية والعاطفية، إذ أن كتابة المرأة عن نفسها تختلف من حيث الحساسية عما يكتبه الرجل عنها، وذلك لتوفرها على شرط التجربة الذاتية هيمنة موضوعات معينة كالهجرة نحو المدن الكبرى، والزوجة الثانية والاعتداء الجنسي أو الاغتصاب، والمرأة العاملة "تتميز الرواية النسوية بالادراج مواضيع سكوت عنها في الرواية، ويتجسد ذلك في غلبة تيمة الجنس، وهو توظيف تنتقد به الروائية الفكر الغريزي الذي حملته الذكورة اتجاه المرأة، مما دفع الروائية بالبوح عن مواضيع مسكوت عنها في الرواية كسرا لحاجز الصمت والخوف الذي حط من الوجود الأنثوي في سياق ما، وهكذا حاولت الرواية النسوية الجزائرية "استعمال الجسد كخطاب . بديل في كسر طابوهات الجنس والمحذور، والسعي إلى حضور المرأة عبر كينونة جديدة"

تنتكر بعض الروائيات الجزائريات في رواياتها بأسماء مستعارة، رغم ما يتمتعن به من مستوى تعليمي واجتماعي مرموق، وهذا راجع لعدة أسباب موضوعية وذاتية، فنجد الروائية فضيلة الفاروق من بين الروائيات اللواتي انتهجن أسلوب الاسم المستعار ، رغم أن اسمها "فضيلة ملكمي"، ويرجع السبب في ذلك "إلى وجود مانع خارجي موضوعي هو حرم المجتمع الذكوري ومانع ذاتي هو حالة الاستلاب التي تعيشها المرأة حيال جسدها، فقد يتعلق الأمر، كما يشير "جون دوجو" بضرورة عدم وضع الأسرة أو الزوج في حرج، فهذا الأخير قد لا يقبل أن تكتب زوجته باستخدام اسمه، إلا بشرط ألا يسبب له ذلك إزعاجا في

حياته العامة، وأن تدور هذه الكتابة داخل الحدود المسموح بها، كما يمكن أن يكون الاسم المستعار في نظرنا تأكيداً على الهوية الجديدة التي تكتسبها الكاتبة من خلال ممارستها فعل الكتابة كميلاد جديد ومغامرة خاصة لا مجال لإقحام العائلة فيها.

تتميز الرواية النسوية الجزائرية بالتقابل الضدي في العلاقة بين المرأة والرجل، وأبدعت في تجسيدها داخل الرواية، تبياناً للهوة الشاسعة التي خلفها الصراع غير المتكافئ بين السلطة الأبوية التي ترمز للقوة والسيادة، والمرأة التي ترمز إلى التبعية والضعف، إذ انجر عن هذا الوضع المتأزم ردة فعل متمردة من الأنثى ضد الهيمنة الذكورية، تجسدت في "سعي بعض الروايات النسوية الجزائرية لتقديم صورة منفرة عن صنف من الرجال غير مرغوب فيهم، صنف لا يهتم بتنظيف نفسه ولا بشكله ... ومما تجدر الإشارة إليه، في هذا السياق، أنه مقابل الصورة المنفرة للرجل المنبوذ في الرواية النسوية، تظهر المرأة في صورة الضحية التي يمارس عليها الرجل أكل أنواع التسلط والهمجية.

تتميز الرواية النسوية الجزائرية بانحصار مواضيعها في سرد الأزمة، فجل أحداثها تتعلق بالسياق المرحلة الاستعمارية وما بعد الاستعمار، فتسرد بعض الروائيات في رواياتهن عن الحقبة الاستعمارية، في حين تعبر الأخريات في رواياتهن عن جزائر ما بعد الاستقلال خاصة مرحلة التسعينيات، وهو توظيف دف من خلاله الروائيات إلى إعادة مساءلة التاريخ السياسي بالجزائر.

لأن الروائيات لجأن إلى توظيف النص السياسي في الرواية من أجل "ملازمة أبرز القضايا الأساسية، والوقوف عند أهم انعكاساتها على الفرد والمجتمع، بسبب تفاعل المرأة الجزائرية مع الظاهرة السياسية لوطنها، وانفعالها بها، حتى وإن كانت أغلب الحالات، على اعتبار أن النشاط السياسي في أغلبه حكراً على الرجل، وقد تم تناول المسألة السياسية من زاويتين، تعكسان موقفان مختلفين، من الثورة الجزائرية ومن السلطة السياسية الراهنة.

يغلب على الرواية النسوية أسلوب السير الذاتي في سرد الأحداث الروائية بصيغة الأنا الأنثوية الذاتية، حيث تعد حياتها المحكية محاكاة عما تعيشه الذات الأنثوية الجمعية في الواقع، فتسعى الروائية في رواياتها إلى دحض التعسف الذكوري، من أجل إعادة بعث مكانة

الأنثى وتحقيق ذاتها الأنثوية من جديد، والتي يقصد التحقيق الأنثى "الحرية الفردية المطلقة، التي تعنى بتحرير المرأة من الضوابط الاجتماعية، والدينية، والاقتصادية، القائمة على المعايير المزدوجة، وتتناول الصراع النفسي الذي تعانيه المرأة نتيجة الاضطهاد الذي تعيشه أو النزاع بين رغبتها بتحقيق ذاتها، والاستسلام لسجنها الداخلي الذي ترسخت في أعماقه ذات المفاهيم التي تحاول محاربتها، والخارجي الذي يحارب محاولة المرأة التحرر من المفهوم التقليدي للأنوثة أي عن دورها المحدد كأم، وزوجة، ورحم ولود.

ولود "إن الرواية النسوية تحاول أن توجد واقعا مختلفا يسوده التعايش بين الجنسين، بصورة تأخذ فيها المرأة مكانة مختلفة عما كانت تعيشه من تبعية مطلقة للهيمنة الذكورية، فهي تسعى في الواقع المأمول الذي تنسج بنيته في الرواية إلى تمتع المرأة بشيء من الحرية، التي استعصى عليها اكتسابها في السابق وفق سياق ما.

إن انفتاح الأدب الجزائري على الرواية النسوية سمح له بإضافة التمايز الإبداعي بين الجنسين، فاستطاع بانفتاحه أن يتجاوز مرحلة الأحادية الإبداعية، التي احتكر فيها الإبداع الذكوري الساحة الأدبية في سياق ما، فقد أتاح هذا الانفتاح تنوعا في الأساليب الروائية، كما أشاع في الأدب روح المنافسة الأدبية، و التي يفاضل فيها بين الرواية الذكورية والرواية النسوية على أساس الاستحقاق الإبداعي وليس على أساس الجنس.

إن الرواية النسوية هي إبداع أدبي قائم بذاته، تدافع فيه الروائية عن حقوق المرأة في المساواة والاختلاف، حيث تتمرد في منتهى المحكي ضد الهيمنة الذكورية، لذلك فمهموم الرواية النسوية يندرج ضمن الطابع الإيديولوجي، لما تثيره من صراع فكري داخل الرواية، تحاول من خلاله تقويض الأنساق الثقافية التي حطت من الوجود الأنثوي في الوجود.

إن الرواية النسوية في مفهومها تتجاوز التصنيف الفئوي الذي يفصل في الإبداع حسب جنس المؤلف (رجل/امرأة)، لأنه تصنيف يقسم الأدب وفق معايير انطباعية، كما أنه في نظر النقاد تقسيم يحط من قيمة الإبداع الروائي النسوي بمقابل إعلائه للإبداع الروائي

الذكوري، وهو ما ترفضه الرواية النسوية، لأنها رواية تناضل ضد التقسيم الفئوي بين الجنسين في الحياة عامة والأدب خاصة.

إن الرواية النسوية كتابة سردية ذات طابع نضالي، تبوح الروائية فيها عن معاناتها المسكوت عنها، وتسعى فيها إلى استرداد حقوقها المنتهكة من الذكورة، وهي كتابة لا تسعى لفتح جبهة صراع وفصال مع السلطة الأبوية، بقدر ما هي كتابة واعية تدعو للتقبل الاختلاف بين الجنسين إن للرواية النسوية الجزائرية خصوصيتها التي تميزها عما يكتب في الرواية الذكورية، وهو تمايز نلمسه في كيفية ظهور هذا النوع من الكتابة السردية في الأدب الجزائري، ونلمسه كذلك في تمايز الطريقة التي تعبر عنها الرواية النسوية عن موضوعاتها الروائية شكلا ومضمونا.

إن الرواية النسوية الجزائرية قد حققت في فترة وجيزة نجاحا أدبيا وواقعيا، تمثل في إثبات مقدرة الرواية النسوية على التغيير من النظرة الاحتقارية للذكورة اتجاه الأنثى، بما تنشره في متنها المحكي من أفكار تشجع على التعايش بين الجنسين بائتلاف، وهو ما انعكس على الحياة الواقعية للأنثى، حيث أصبحت مكانة الأنثى اليوم أفضل من مكانتها في السابق، بفضل الدور الذي لعبته الرواية النسوية في نشر ثقافة الاختلاف بين الجنسين.

إن الروائيات الجزائريات استطعن بكتابتهن السردية المميزة من أن ينلن مكانة مستحقة في الساحة الأدبية العالمية، على الرغم من التأخر لجنس الرواية في الأدب الجزائري، حيث عرفت غزارة في التأليف خلال السنوات الحالية، لذلك يمكن القول: بأن الكاتبة الجزائرية وجدت في السرد عامة والرواية النسوية خاصة القلب الإبداعي الأدبي المناسب، الذي تتطلع فيه للتحرر من تبعيتها للسلطة الأبوية.